هوامش

بين عادات الجزائريين التي تواكب شهر رمضان اللهو بألعاب متنوعة في المقاهي، والتمتع بمنافساتها في أجواء من التحديات والمشادات السلمية التي تهدف إلى زرع الفرح

الدومينو من أكثر الألعاب رواجاً (العربي الجديد)

ألعاب رمضان

منافسات مشحونة في سهرات الجزائر

الجزائر ـ **كمال بوحدة**

لا تزال المقاهي الشعبية والساحات العامة ومساحات المراكز الشبابية المقصد الرئيس للجزائريين خلال سهرات شهر رمضان، من أجل احتساء القهوة ولقاء الأصدقاء، وتبادل الأحاديث وإحياء جلسات السمر، والاستمتاع بألعاب معروفة شعبياً مثل الدومينو والشطرنج. وسمحت مواكبة جزائريين كُثر هذه الألعاب بانتشار ما يطلق عليه اسم «المحشاشات» وهي مقاهٍ صغيرة تفتح أبوابها مؤقتاً في رمضان، وتشكل ملتقى للشبان الذين يقطنون في مناطق جبلية وريفية خصوصاً التي تفتقر الى مقاهٍ مثل تلك الموجودة في المدن. كما تعكف بعض المراكز الشبابية والجمعيات الناشطة على تنظيم منافسات رياضية وترفيهية بعد صلاة التراويح، لخلق مساحات للفرجة وكسر الروتين والهدوء الذي يفترض أن يواكب فترات النهار في رمضان. يخبر سامي غربيني بن عكاشة، وهو مقاول بناء «العربي الجديد» أنّه لا يستطيع البقاء في البيت بعد تناول وجبة الإفطار، لذا يسارع إلى مقهى الشهيد الشعبي المعروف وسط مدينة العفرون بمحافظة البليدة، من أجل شرب القهوة وتدخين السجائر، ولقاء الأصدقاء الذين يتجمعون لتبادل أطراف الحديث حول مختلف القضايا المحلية التي تعني الشأن العام. ويقول: «لا أنام إلا بعد صلاة الفجر، علماً أنني أتوقف عن العمل في شهر رمضان، وأكلف أخي بمتابعة بعض المشاريع لأنني غير قادر على التحكم بأعصابي خلال ساعات النهار التي أعتكف فيها في البيت أطول فترة ممكنة لتجنب العصبية التي يتسبب بها إدماني على السجائر والقهوة. وبعد الإفطار مباشرة، أسارع الى المقهى لحجز طاولة لاحتساء القهوة وتدخين سيجارتي التي تعيد لي تركيزي، وأتحين فرصة لقاء أصدقائي وتبادل أطراف الحديث معهم، وقضاء بعض المصالح المشتركة».

وتمتلئ مقاهي الساحة العامة في مدينة حجوط غرب الجزائر العاصمة بمئات من المواطنين الوافدين من مختلف البلديات والقرى المجاورة لاحتساء القهوة. ويعلّق قلعي محمد، وهو تاجر من مدينة حجوط، بأن هذه المقاهي المشهورة تعطي فرصة كبيرة للاستمتاع بجمال المدينة وحركتها ليلاً، كما تمنح فرصة لمشاهدة منافسات الكرة الحديدية ولعبة الدومينو التي تقام في ساحة المدينة خلال شهر رمضان.

وفي ساحة مدينة شرشال المطلة على البحر، يتلهف الصحافيان بو جمعة بوقشور وهشام همال لتناول القهوة بعد الإفطار مباشرة، ولقاء بعض المثقفين والأساتذة. ويقول بو جمعة لـ«العربي الجديد» إنّ «تناول القهوة ذو نكهة خاصة خلال سهرة رمضان وسط نسمات البحر التي تعانقنا وتزيد متعة الأحاديث والنقاشات حول مختلف القضايا السياسية والإعلامية الراهنة». أما هشام فيقول لـ«العربي الجديد» إنّه اكتشف العراقة الاجتماعية والتاريخية لمدينة شرشال من خلال السهر في مقاهيها الشعبية التي تعج بزبائن من مختلف الفئات والأعمار».

لاعبون ومتفرجون

في ظاهرة لافتة، لا تزال لعبة الدومينو تفرض شعبيتها خلال سهرات رمضان، وتحضر على طاولات معظم المقاهي التي يتجمع فيها شيوخ وكهول وشبان يحرصون على التمتع بمنافساتها خصوصاً بعد صلاة التراويح، علماً أن ممارسة هذه اللعبة لا تنحصر في المقاهي، وتشمل حتى أسطح المنازل و«المحشاشات»، وتكون مسرحاً لمشاحنات ومنافسات قوية بين الأصدقاء والأقارب تزيد خصوصية السهرات الرمضانية ونكهتها. يضرب عمي الطيب خليفة، موظف البلدية المتقاعد، موعداً للاجتماع بأصدقائه في مقهى سي قدادر الذي يقع وسط مدينة أحمر العين للتنافس في لعبة الدومينو بعد صلاة التراويح، وذلك في حضور مجموعة كبيرة من المتفرجين الذين يتمتعون بالمنافسات والمشاحنات والمواقف العصبية التي تميز الأجواء، خصوصاً أنهم يعرفون أن المتنافسين يرفضون الخسارة، ما يخلق مزيجاً فريداً من المواقف المضحكة التي تترافق مع شد أعصاب ومشادات كلامية سلمية، وأيضاً احتفالات بالانتصار. وعلى غرار عمي الطيب، يجد أبناء حي الهواري أحمد في أعالي منطقة بورقيقة بمحافظة تيبازة، فرصة جيدة للتجمع في المقاهي التي تقع في قرية تشتهر باحتضانها منافسات محتدمة في لعبتي الورق والداما. ويسارع الجميع إلى حجز الطاولات وانتظار المنافسين، فيما تجلب المنافسة جمهوراً متنوعاً ينساق إلى متابعة المنافسات باعتبار أنه لا يملك خياراً آخر في ظل غياب المرافق الترفيهية في المنطقة، مثل دور الشباب والملاعب.

جمهور الشباب «العائد»

وبمبادرة نوعية، ينظم مهدي، وهو مدير دار الشباب حاج علي عبد القادر في مدينة حمر العين، دورة محلية في لعبة الشطرنج تشهد مشاركة كبيرة في منافساتها التي أعادت الحياة إلى جمهور من الشباب كان هجر المقاهي جزئياً في السنوات الماضية، بسبب غزو التكنولوجيا للبيوت. ويقول مهدي لـ«العربي الجديد»: «نحاول عبر هذه النشاطات تنويع أماكن ومساحات السهرات الرمضانية في المدينة، وبعث النشاط الترفيهي والشبابي خلال شهر رمضان». ويعلّق زبير صفوان، وهو لاعب قديم ومحترف في لعبة الشطرنج، بالقول لـ«العربي الجديد: «هذه المنافسة سمحت لنا بإعادة المنافسات في لعبة عشقناها منذ سنوات قبل أن تغيب فترة عن المدينة. وهذه فرصة ثمينة لإعادة إحياء النشاطات التي تعيد الشباب إلى الحياة الواقعية بعيداً من الألعاب الافتراضية التي فرضتها التكنولوجيا». من جهته، يفضل الشاب لطفي بن شريف، وهو أستاذ تعليم ابتدائي، رفقة جيرانه وأصدقائه من حي بوحدة عبد القادر غربي العاصمة الجزائرية، التجمع بعد صلاة التراويح في مسكن غير مكتمل أو في الغابة المحاذية للقرية في جو أخوي تتوسطه طاولة مملوءة بالحلويات والمشروبات والشاي للاستمتاع باللعبة المفضلة لديهم والمعروفة باسم «لوقارو»، وهي لعبة ورق يشارك فيها عدد من اللاعبين.

أيضاً، تنظم بلديات وجمعيات كثيرة دورات رياضية خلال سهرات رمضان، مثل برنامج ترفيهي اعتاد عليه جمهور المدن الجزائرية عموماً وتلك الكبيرة خصوصاً مثل العاصمة ووهران وقسنطينة وعنابة والبليدة، التي تحتضن عدداً كبيراً من الملاعب والقاعات الرياضية. وتعلن الجهات المنظمة موعد الدورات قبل شهر رمضان كي تضع الفرق لوائح لاعبيها الذين تحتدم المنافسة بينهم في مباريات تشهد حضوراً جماهيريا كبيراً بعد صلاة التراويح لمناصرة فريقهم المفضل. كما تمنح هذه الدورات بعض الشباب الذين يمتهنون بيع الحلويات كالزلابية والقلب اللوز والمكسرات والشاي فرصة تحقيق مكاسب مالية. في السياق يشرف خير الدين لكحل، رئيس جمعية ابن خلدون لمدينة العفرون بضواحي محافظة البليدة، على منافسات دورة كروية تجمع فرقاً من مختلف الأحياء. ويوضح لـ«العربي الجديد» أن الدورة يحضرها جمهور غفير بعد صلاة التراويح، وتجري منافساتها بنظام الإقصاء في فئات عمرية مختلفة، وتستمر شهراً كاملاً. ويشير إلى أن «نسخة العام الحالي تعرف نجاحاً باهراً بعد عودة التجمعات إثر رفع حظر حضور الجمهور إلى الملاعب بسبب جائحة كورونا. نطمح من خلال هذه المبادرات إلى خلق بهجة، وتعزيز النشاطات داخل المدينة للتخلص من الضغوط اليومية التي يواجهها المواطنون».

أيضاً، أطلق مسؤولو نادٍ لكرة السلة في مدينة سيدي أعمر دورة خلال شهر رمضان جذبت الشبان الذين يعشقون ممارسة هذه الرياضة، وفتحوا القاعة الوحيدة بالمدينة أمام الجمهور والعائلات ليلاً لمناصرة اللاعبين.

باختصار

يمكن اكتشاف العراقة الاجتماعية والتاريخية لمدن الجزائر من خلال السهر في المقاهي الشعبية التي تعج بالزبائن من مختلف الفئات والأعمار

■■■

لا تخلو معظم المقاهي من طاولات يتجمع فيها شيوخ وكهول وشباب خصوصاً بعد صلاة التراويح

■■■

تجلب منافسات الألعاب جمهوراً متنوعاً يضطر إلى متابعتها في ظل غياب المرافق الترفيهية في المناطق

وأخيراً

علي الدميني... في انتظار المستحيل

سعدية مفرح

الليلة التي جمعتنا فيها الشاعرة فوزية أبو خالد حول اسم الشاعر علي الدميني قبل رحيله بأيام قليلة، شعرت أنها ستكون ليلة وداعية. كنت أعرف الظروف الصحية التي يمرّ بها رحمه الله، من خلال تواصلي مع فوزية. ولهذا تردّدت قليلا قبل المشاركة في تلك الأمسية التي شارك فيها كثيرون من أصدقاء الشاعر وزملائه ومحبيه عبر منصّة زوم من بلدان كثيرة. وفي النهاية، حسمت أمري على أمل أن تكذّبني الظنون، وأن تكون الليلة احتفاء بشاعر يقاوم المرض ويغلبه، كما فعل دائماً في كلّ مقاوماته الكثيرة في الشعر والحياة.

قرأت في الأمسية التي خيّمت عليها أحزان شفيفة بعضاً من شهادةٍ كنت قد نشرتها سابقاً عن علاقتي به، وكيف بدأت عبر قصيدته «الخبت»، وكيف كان لقاؤنا الأخير مبللاً بدموع الخذلان على زمن عربي بئيس، تُغتال فيه الأمنيات القديمة. قرأت الشهادة بحضور الجميع وغياب الشاعر، لكن عزائي أنه سبق أن قرأها في الكتاب الذي أصدره نادي المنطقة الشرقية الأدبي في السعودية العام 2015، تكريما له بعنوان «الطريق إلى أبواب القصيدة». بعد انتهاء أمسية تطبيق زوم، أرسلت إليّ فوزية أبو خالد رسالة تطلب مني تسجيل الشهادة بصوتي مرة أخرى، بسبب عدم وضوح التسجيل الأول لخلل فني، خصوصا أنهم ينوون نشر الأمسية على منصّة يوتيوب كاملة. وعدتها بذلك، ثم سألتها عن صحة الدميني، فكتبت لي كلمات تقطر حزنا وتفجّعا، ما جعلني أهون عليها، وأتردّد مجدّدا في تسجيل الكلمة التي فهمت أن أبا عادل لن يسمعها كما كنت أظن. وتحوّلت ليلة التكريم العابر للدول والقارّات عبر الإنترنت إلى ليلة وداع مبكّر لشاعرٍ كان في طريقه إلى الذهاب الأخير، وأسئلتي المعلقة بقيت بلا أجوبة عن نفع ما نكتب على هامش الرحيل الكبير للراحلين. أما أننا نكتب لأنفسنا، حتى نستعين بالكلمات على مقاومة الشعور باللاجدوى من كل شيءٍ، سيصل إلى نهايته المحتومة دائماً؟

كتبت كثيراً في السنوات الأخيرة عمّن فقدتهم من أهلي وأصدقائي وأحبابي ومعارفي... حتى أصبح الموت قريباً جداً مني، وصارت شواهد القبور تشير إليّ بأحرف اسمي كلما زرت المقبرة. ومع هذا لم يغادرني شعور المفاجأة الفاجع عند سماع خبر الموت القريب. وهذا الخبر يصل إليّ الآن، حيث رحل أحد أهم شعراء ذاكرتي، وأحد أنبل من عرفت في حياتي كلها. رحل بعد ترك أثره الكبير الذي يرى ولا يزول كعادته عند كل مفصلٍ من مفاصل حياته، إذ تشظّت كما يليق في دروب النضال الوطني والحقوقي، ومسارات النص الجديد، وهموم الكتابة بكلّ خياراتها المنحازة للتجريب والتجديد. في كتابه البديع «زمن للسجن... أزمنة للحرية» سجّل علي الدميني بعضاً من تفاصيل رحلته الشاقّة ما بين السجن والحرية، لأنّه أراد البقاء حرّاً دائماً، حتى خارج أسوار القصيدة. وربما لهذا رفض أن تكون رحلته منتهيةً بأي خيار، فعندما أرسل إليّ نسخة من الكتاب، وقال لي بمرحه الحيي: «كتبت عن لقائنا الأول، ابحثي عن اسمك بين الكلمات» قلت له ممتنّة: «يا بختي... لا أريد من التاريخ أكثر من هذا» فنهرني بغضب حقيقي هذه المرّة، وهو يقول: «المستحيل يستحق الانتظار يا بنت»!

لا أدري إن كان الدميني قد بقي منتظراً للمستحيل حتى آخر أيامه أم لا، لكنّ «الخبت» قصيدته التي طوّفت في سياقات الشعر العربي الحديث كله، احتفظت بقدرتها على توليد الأسئلة المستحيلة:

«لا تقرب الأشجار، غافلني الفؤاد فمسّها، وهبطت
من عالي شيوخ قبيلتي أرعى جراحي
هذا بياض الخبت، أهمزُ مهرتي للبحر
أرسنها إلى قلبي، فتجتاز المسافة
حجرٌ على رمل المسيرة، هودجٌ، حِملٌ،
وأغصانٌ من الرمان، هل تقفز؟»

ومن المثير الآن أن نكتشف، بعد مراجعة محطات الرحلة الشاقة للدميني في نهاياتها، أنّها كانت دائماً قفزاً مستمرّاً على جمرٍ مستعرٍ تحت رماد أبيض!

> نكتشف، بعد مراجعة محطات الرحلة الشاقة للدميني في نهاياتها، أنّها كانت دائماً قفزاً مستمرّاً على جمرٍ مستعرٍ تحت رماد أبيض

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**